باب تدبير المنزل

قد افتتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ابتداء التعليم

لا يكاد الطفل يبلغ السادسة او السابعة من عمره حتى تبعث به امه الى الكتّاب ظنًّا منها ان تربيته وتعليمه يبتدئان من يوم دخوله الكتّاب. ولكنّ تعليم الطفل يبتدئ في البيت قبل ذلك بسنين لان كل نظرة من عين امه وكل تبسّم في وجه ابيه وكل كلمة من اخيه واخته وكل زجرة تسمح له بقطفها ولا يسمح له باتلافها وكل فراشة يسمح له برؤيتها ولا يُسمح له بقتلها وكل ذهاب الى الحقول والمروج وكل جولان في الحدائق والبساتين كل ذلك دروس يتعلّم الطفل منها ان يحب اباه وامه واخوته ويتمتّع بجمال الطبيعة. والبيت هو المدرسة الاولى التي تهذّب فيها الاخلاق وتتربى فيها العواطف النبيلة. والام التي لا تصدّق ان يبلغ ولدها السادسة او السابعة من عمره حتى ترسله الى المدرسة وترتاح منه قلما تكون موفقة بمعاجبتها نحوه

قال احد الاطباء ان الكلام الذي يسمعه الطفل في السنين الثلاث الاولى من عمره والاعمال التي يراها فيها تؤثر في نفسه تأثيرًا يعسر محوه بعد ذلك. وعندنا ان الاقوال والافعال لا تؤثر في نفس الطفل هذا التأثير ما لم يرث الاخلاق النبيلة من والديه واما اذا كان مولودًا من ابوين فاسدي الاخلاق وربي في بيت افضل الفضلاء فاخلاقه الفطرية الموروثة من والديه تغلب الاخلاق التي يربّى عليها لان الطبع يغلب التطبّع. ولكنّ التربية لا تضيع سدًى بل تدمث الاخلاق وتلين الطباع ولو قليلاً

والاخلاق الموروثة اما ان تكون راسخة في الوالدين لاتصالها اليهم من آبائهم واجدادهم واما ان تكون حادثة فيهم او في آبائهم واقدمها امكنها فان كانت حادثة في الوالدين فقط لا يتعذّر نزعها من اولادهم واما اذا كانت قديمة جدًّا فنزعها عسر او متعذّر. وقد تتعدّل اخلاق احد الوالدين باخلاق الوالد الآخر اي اذا وجد في الاب خلق مناقض لخلق موجود في الام ضعف هذا الخلق في الولد وسهل نزعه منه

ومهما يكن من امر الوالدين فالعلم عن صغر كالنقش في الحجر. أرأيت الآجر يصنع من الطين فانك تقدر ان تطبع فيهِ ما شئت وهو طريّ واما اذا شويتهُ بالنار فصلب تعذّر عليك ان تطبع فيهِ شيئًا

القدوة اكبر معلّم

من اغرب ما يراهُ الانسان ان اولاد العظماء لا يكونون عظماء كآبائهم مع ان ناموس الوراثة الطبيعي يقتضي ان يكون ابن العظيم عظيمًا مثلهُ دائمًا وهذا الناموس عامٌّ لجميع انواع النبات والحيوان والناس يسلمون بهِ ويعملون بموجبهِ فيشترون التفاوي من القطن الجيد علمًا منهم بان القطن الذي ينمو منها يكون جيدًا ويقالون بثمن المهر الذي امهُ وابوهُ من جياد الخيل علمًا منهم بانهُ يصير من جياد الخيل ايضًا. وبحسب هذا الناموس يجب ان يكون كل ابن عظيم عظيمًا ايضًا والامر على غير ذلك لان بعضهم يرث اخلاق والديهِ وبعضهم لا يرثها او يرثها ولا تظهر فيهِ جيدًا بل يظهر فيهِ اخلاق أُخرى مضادّة لاخلاق والديهِ

والتفاوي الجيدة اذا زُرعت في ارض بور لم تُحرَث ولم تروَ او اذا زُرعت في ارض جيدة ولكن لم يعتنَ بها الاعتناء اللازم ضعفت وعادت الى اصلها من عدم الجودة لان عدم الجودة اسبق وارسخ في الطبع. والمهر الاصيل اذا أُهملت تربيتهُ تمام الاهمال عاد هجينًا وكذا الولد اذا أُهملت تربيتهُ او رُبّي على اخلاق فاسدة فسدت اخلاقهُ مهما كان طيب الاعراق وهذا لا ينقض ما قلناهُ في النبذة السابقة من ان الطبع يغلب التطبع لان الفطرة الوحشيّة سابقة فاقل اهمال او افساد يعيد الطبع اليها. ومعلوم ان العظماء يكلون تربية اولادهم غالبًا الى العبيد والخدم وماذا ينتظر من عبد مجلوب من قلب افريقية او من خادم لم تهذّب اخلاقهُ فاذا لم يكتسب الولد منها الّا القدوة بالمعاشرة فكفى بها لتفسد اخلاقهُ. وهذا هو السبب الاكبر لما تراهُ من ان اولاد العظماء لا يكونون مثل آبائهم الّا نادرًا

ولو اعتنى هؤلاء الوالدون بتربية اولادهم بانفسهم او اقاموا عليهم مربيًا فاضلاً يعتني بتربيتهم لنبغوا اكثر من آبائهم لان الطباع اذا اتّجهت نحو الخير او نحو الشرّ فلا تحتاج الّا التدريب ليزيد تقدمها في تلك الجهة

وجملة القول ان اكثر ما يُرى في اولاد العظماء من فساد الاخلاق ناتج من معاشرتهم للعبيد والخدم الّذين في بيوت آبائهم

سعادة البيت

قالت احدى الفاضلات ان اسعد بيت رأيته في حياتي بيت لا يزيد دخل اصحابه عن مئتي دينار في السنة ولكن سعادة ذلك البيت كانت في ربته فانها كانت حاكمة على كل ما فيه بحكمتها وكان ابناؤها وبناتها ينظرون الى وجهها فيقرأون فيه كما في كتاب مسطور كل ما يجب ان يعملوه . ومع اعمالها الكثيرة كانت تجد فرصة كافية للاعتناء بالضروريات والكماليات ايضاً من اعداد الطعام لاولادها الى اعداد الكتب الادبية ليطالعوها في ساعات الفراغ . ولو اضيف الى توقد ذهنها وسرعة خاطرها وبشاشة وجهها الفنى والعلم لكان بيتها مثالاً للجمال والعظمة الحقيقية

دواء النمش

ذكر بعضهم انهُ كان يحق ملح البارود حتى ينعم جيداً ويبل اصبعهُ بالماء ويغطسها في المحوق ويدهن النمش جيداً فيزول . ولكن ما يزيل النمش في شخص قد لا يزيلهُ في آخر

منزلة الام

لجناب جرجس افندي حنا

تقدمت المدنية والحضارة واتسع نطاق العلوم والمعارف وكثرت المؤلفات وازهرت شجرة المعرفة بعد الذبول واسفرت غزالة التمدن بعد الافول فاصبح هم المرء واهتمامهُ طلب السعادة وهي ضالة كثير ناشدها قليل واجدها . اما السعادة الحقيقية فهي السعادة البيتية حيث الام صادقة امينة تربي اولادها بالحكمة والفطنة وتغرس في قلوبهم المبادىء الشريفة والخصال الحميدة كما سنأتي على تبيينهِ

ان واجبات الام من حيث بذلها ما في وسعها لان تزرع في عقول ابنائها بذور المعرفة والفضيلة من اهم ما يلتفت اليهِ ويستدعي تيقظ كل لبيب عاقل " لان المبادىء والحقائق التي تبث في عقل الطفل وهو في الثامنة او العاشرة من العمر لا تبرح من ذهنهِ ما دام حيًّا وتكون قائدًا لهُ اما للهدى او للضلال لا بل سبباً لخيرهِ ورفائهِ او ضيرهِ وشقائهِ في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة "

وعليهِ فالام هي المحافظة على البنين والبنات مدة صغرهم القائدة لهم اثناء حداثتهم فاذا كانت حكيمة فاضلة بثت مبادىء الحكمة والفضيلة في عقول ابنائها القابلة التربية السريعة التأثر وان كانت غير ذلك غرست نفس مبادئها في اذهانهم وشبوا على ما شبت عليهِ . وعلى الام بتوقف تخلق البنين بالاخلاق الحسنة واتصافهم بالكمالات والآداب

كيف لا وهي المراقبة لحركاتهم وسكناتهم والمرشد الذي يثق بهِ الاطفال كل الثقة واي منظر ابهج من منظر الاطفال حينما يحيطون بامهم احاطة الهالة بالقمر وهي تزرع في عقولهم مبادىء المعرفة والآداب . ولا مشاحة انهُ يوجد غير الام من يربي الاطفال ويهذبهم ولكن الام اوّل من يغرس في الطفل المبادىء الخلقية والعوائد المتنوعة فلا يعود يرتاح الاّ لما رآهُ من امهِ وتعلمهُ منها سواء كان صحيحًا او فاسدًا وعبثًا يتعب الاستاذ او المربّي في تغيير اخلاق ولدٍ ربي على اخلاق والدتهِ . فشتّان بين النساء اللواتي يصرفنَ جلّ اوقاتهنّ مع اولادهنّ وهنّ يحدثنهم بامورٍ كلها تخرصات اوهام واضغاث احلام كما هي عادة معظم الشرقيات وبين اللواتي لا يحدثنَ اولادهنّ الاّ بالامور الحقيقيّة والحوادث الطبيعيّة مما يفيد الاولاد ويرقي عقولهم

ولا ريب ان تخلق البنين بالاخلاق الرديئة نتيجة احد امرين . اما ان تكون الوالدة عاقلة فاضلة مهذبة الاّ انها مهملة متراخية في تربية بنيها وتهذيبهم . او ان تكون سيئة الخلق رديئة الطبع فتتقدم الى حالة تعيسة وحياة شقيّة اما الاهمال فعاقبتهُ تولد العصيان في البنين حتّى لا يعود للام كلمة مسموعة عندهم فينغمسون في التمتع بكل شهواتهم وتكون العقبى وخيمة عليهم وعلى والديهم كما هو الحال مع كثيرٍ من اولاد مشاهير افاضل القوم.

والامّ التي لا تتعوّد ان تحكم بنيها بنفسها ولا بهمها سواء اذعنوا لاوامرها او لم يذعنوا بل تترك كل ذلك على الاب حتّى لا يعود يمكنها ان تنفذ كلمة فيهم ما لم يأمر بها الاب ترتكب اكبر خطإٍ في عملها . لان الاب لا يمكنهُ ان يبقى مرافقًا الاولاد في كل اوقاتهم ولذلك يترقب الاولاد غيبتهُ ويفعلون ما يشاؤون دون ان يكترثوا لوالدتهم او يحسبوا لتهديداتها (اذا هددتهم) حسابًا لان الاختبار يعلمهم ان حنوّها يمنعها عن تبليغ الاب كل ما يفعلونهُ . ومعلوم ما ينتج عن ذلك من الضرر البليغ في حياة الاولاد المستقبلة فاذا اعتنت هي بتربيتهم وربتهم على ان يخافوها ويسيروا بموجب ما تحبهُ اختلفت النتيجة ورحمت الاولاد رحمة كبيرة في مستقبلهم

ويحكى ان والدة كانت تنصح ابنها نصائح اديّة وتنذرهُ انذارات والدية وكانت في اثناء كلامها تضع يدها على رأسهِ ولما بلغ هذا الصبي اشدّهُ ضلّ وغوى ومال الى طريق الهوى وادمن على شربِ وغيهِ واستمرأ مرعى بغيهِ ففي احدى الليالي حلم ان والدتهُ اتت ووضعت يدها على رأسهِ وبدأت تنصحهُ وتنذرهُ فلما صحا استفاق من غفلتهِ وتاب من ساعتهِ واصبح مرشدًا يرشد الناس الى الهدى ويدلهم على طريق الحق والفضيلة واشتهر

لذلك بين قومهِ واترابهِ

وقد يتفق ان الام تتعب جهدها في تأديب ابنها وتربيتهِ الاَّ انهُ عند بلوغهِ سن الرشد ودخولهِ في طور الشبوبيَّة تصادمهُ تجارب عديدة فتحور عزيمتهُ وينبذ وصايا والدتهِ ويميل بكليتهِ للاثم والفجور ومعاقرة الخمور حتَّى يظهر ان تعب الام ذهب سدى وان نصائحها لم تفد ولكن من امعن نظرهُ في الامر يرى انهُ لا بدَّ ان يأتي يوم فيهِ يتذكر الصبي نصائح والدتهِ وانذاراتها ودمعها السخين على سلوكهِ الرديء ويشعر بفضلها وفضائلها بعد ان يكون قد واراها التراب فيترك امياله الحيوانيَّة ويحجم عن غاياتهِ الشهوانيَّة ويسترشد الى طريق الفضيلة والحق كما كان الحال مع كثير من الاولاد افلا يعد هذا الانقلاب نتيجة تربية الام وسيرتها الحسنة

قال بعضهم كنت في احدى مدن بلاد الانكليز فقصدت الذهاب الى محفل للتجارة ولما كنت على مقربة من محل الاجتماع رأيت نوبيًّا واقفًا امام بيتهِ وهو يدخن متفرسًا في الجموع القادمة الى المحفل فدنوت منهُ وبادأتهُ قائلاً ألا تريد الذهاب معنا الى الاجتماع يا سيدي فاجابني بوجه مقطب لا اريد فتوقفت قليلاً ثم قلت لهُ يلوح لي يا سيدي انك قاسيت الشدائد والاهوال في حياتك افليس لك والدة — فنظر اليَّ نظرة المندهش — ثم قلت لو فرضنا ان والدتك هنا الآن فهل كانت تشير عليك . فلما طرقت هذه العبارة اذنيهِ انحدر الدمع من عينيهِ ثم كتكفهُ وقال عفوًا يا سيدي فاني ذاهب معك ولو كنَّا نعلم ما آل اليهِ حال هذا الرجل لعرفنا تأثير تربية والدتهِ فيهِ ويظهر من محتوى الرواية ان امهُ ربتهُ تربيةً حسنة وعلمتهُ تعليمًا جيدًا حتَّى انهُ لما ذكر اسمها امامهُ ذاب قلبهُ وحنَّ الى الذهاب ومهما كانت النتيجة فانها تظهر لنا قوة التأثير الذي تتركهُ الوالدة في افكار البنين وتدل على ان تمادي الانسان في الشرور والمآثم لا يمحوهُ وقد انتقش في ذاكرتهِ انتقاش الحفر في الحجر. ومن اعظم الامور على الوالدين ان يكون ابنهم مهملاً كسولاً واعظم منها ان يبلغ سن الرشاد على روح العصيان والعناد ويكون انسانًا فاسد الخلق والطباع فكم من الوالدين الذين قضوا اباءً في الحزن والبالي في البكاء بسبب سوء سلوك بنيهم وكم منهم ضاع شرفهم وانحذل مقامهم وابيض ليل شعرهم وفارقوا هذه الحياة الدنيا من جرَّاء اهمالهم في تهذيب بنيهم وتأديبهم فاعلمي ايتها الوالدة (او فاعلم ايها الوالد) ان مستقبل حياتك بين ايدي بنيك فلهم المقدرة على ان يذروا في الريح ما كسبت يداك من المال والشرف هباء منثورًا وفي طاقتهم ان ينكدوا عيشك

حتّى لا يعود لك راحة الاّ في مفارقة الدنيا وبصبح لسان حالك ينشد

ألا موتٌ يباع فأشتريهِ فهذا العيش ما لا خير فيهِ

ان هذه الابنة الّتي هي غاية منالك والّتي لا يسليك عن هموم دنياك سواها لا تقدر على الوقوف امام العالم وما بهِ من الاوصاب والاكدار والشهوات النفسانيّة وغيرها ما لم تكن مسلحة بسلاح المبادئ الصحيحة الّتي تسلحها منك وتتدرعة بدرع العوائد الحسنة الّتي كسبتها من ورائك فاذا كانت عطلاً من هذه احاط بها العالم بحبالهِ واوقعها بحبائلهِ حيث لا يعود لك يدٌ في تخليصها ويعتريك الندم ولات ساعة مندم . فانتبهوا ايها الوالدون وانتبهنَ ايتها الوالدات وارحموا انفسكم وبنيكم بالتفاتكم وراء تربيتهم وتهذيبهم

وكفى الوالد مصابًا والوالدة عذابًا ان يريا ابنهما او ابنتهما قد حادا عن جادّة الآداب والفضيلة وسلما انفسهما للرذائل والدعارة وعاشا مرذولين منبوذين من الهيئة الاجتماعيّة نتيجة اهمالٍ في تربيتهما او تصرف سوء تصرفاهُ امامهما . ولا شكّ انهُ اذا وضع الوالد في رأسهِ مذ يولد لهُ ولدٌ انهُ اذا تراخى في تربيتهِ واهمل تهذيبهُ كان حملاً ثقيلاً عليهِ في آخرتهِ وباعثًا لتكدير صفائهِ وعلمت الوالدة ذلك انتبها الى الحال وجعلا تربيتهُ دينًا لهما وديدنًا . وقد ذكر بعضهم ان خطيئة ابنةٍ كانت سببًا لاماتة والدتها وباعثًا لشقاء والدها وعنائهِ . وقيل ان بعض الاغنياء اصيب بفجور ابنتهِ فتكدر صفو كأس حياتهِ وقال انهُ يسهل عليهِ انفاق ما ملكت يداهُ لو امكنهُ استرجاع ما فقدتهُ ابنتهُ من الشرف ولكن سبق السيف العذل

ويا ايتها الوالدة انظري الى ذلك السكران الذي يتسكع في اوحال الطرق والشوارع ويتوكأ على جدرانها وكوني على ثقة بان لهُ والدة لا يبعد ان تكون في حالة الضنك والفاقة ليس عندها ما يكنها من القوت واعرفي انهُ لا يبعد ان تصيري الى هذه الحالة يومًا ما فان احسنتِ تربية ابنكِ نفعكِ والاّ كان سببًا لشقائكِ وبلائكِ وكان افضل لكِ لو لم تكنهِ

قال بعضهم كنت اعرف امرأة لها ابن وحيد عزيز عندها وكانت تعمل ما في وسعها لترضيهُ فلما مات ابوهُ تمادى في مخالفتها حتى انهُ غضب يومًا ما فاشعل النار في البيت فاحترق بما فيهِ وصارت الام في حالة يرثى لها وسجن الصبي وآل بهِ الحال الى الجنون

فاعلمي ايتها الوالدة ان اخلاق بنيكِ بين ايديكِ فان هذبتها وكنتِ امينة في تربيتهم ونظرتِ الى سعادتك ومستقبلهم وخيرهم تكونين هيأتِ الطريق الى السعادة في آخر عمرك والاّ تولاّك الندم حيث لا ينفع . وكثير من الوالدين في بلادنا لا يعبأون

بهذه الحقائق ويكلون تربية بنيهم للاحوال والتجارب ولكنهم يخطئون بذلك فمن اراد ان يكون ابًا سعيدًا او امًا لابن سعيد فليصرف همهُ واهتمامهُ في تهذيب اخلاق بنيهِ وتثقيف عقولهم حتى يشبوا على محبة الفضيلة والسعي وراء الخير ومن شبَّ على شيء شابَ عليهِ

حرِّض بنيك على الآداب في الصغرِ كيما تقرَّ بهم عيناك في الكبرِ
فانما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجرِ

بابُ الزراعة

مدرسة الزراعة

أُعلِّلُ النفسَ بالآمالِ ارقبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الاملِ

مضى على المتنطف اربعة عشر عامًا وهو يتمنَّى ان يرى مدارس الصناعة والزراعة تربي ابناء المشرق على اتقان هاتين الطريقتين الفضليين من طرق المعاش ولم تحقق امانيهُ الاَّ في ايام الوزارة الرياضيَّة. فقد سعت نظارة المعارف الجليلة في اواخر العام الماضي في انشاء بعض المدارس الصناعيَّة وهي عازمة الآن على انشاء مدرسة زراعيَّة كبيرة وقد حضر مديرها من البلاد الانكليزية التي اشتهر اهلوها باتقان الزراعة حتى صيروا جزائرهم القاحلة جنات غنَّاء واستغلُّوا من اراضيهم ما لا يستغلُّ من مثلها في كل اقطار المسكونة وهو الآن بين ظهرانينا يتفقد احوال البلاد الزراعيَّة ليرى ما هي الطريقة المثلى التي يجب اتباعها في انشاء هذه المدرسة وادارتها

ولا يخفى على القراء الكرام ان مسئلة هذه المدرسة قد اشغلت الحكومة في العام الماضي مدة طويلة وعُينت لجنة للبحث فيها فارتأى اعضاؤها اراء متباينة ومن هذه الآراء رأي حضرة السركولن منكريف وكيل الاشغال العموميَّة وقد اثبتناهُ في المقتطف. ومنها رأي العالم العامل صاحب السعادة علي باشا مبارك ناظر المعارف العموميَّة وقد اطَّلعنا عليهِ الآن ومفادهُ ان تنشأ مدرسة زراعيَّة يقسم طلبتها الى ثلاثة اقسام قسم تلامذتهُ من الذين اكملوا العلوم الهندسيَّة في مدرسة المهندسخانة فيتعلمون فيهِ جميع العلوم الزراعيَّة علمًا وعملاً ويكون منهم نظار الزراعات الكبيرة وقسم يتعلم تلامذتهُ مبادئ طب الحيوانات